

يجب أن نخصص بعض الوقت للصمت †

الميتروبوليت نيوفيتوس مطران مورفو

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

جميعنا اليوم، رهباناً وعلمايين، عازبين أو متزوجين، لدينا مشكلة واحدة كبيرة: القلق. لا يمكننا إيجاد السلام والهدوء في نفوسنا. جميعنا مثقلون باهتمامات كثيرة. مع تطور التقنيات الجديدة تزداد الهموم والمتاعب بالرغم من أن ما يبدو هو أنه ينبغي العكس. لماذا يجري الأمر بهذه الطريقة؟ في الحقيقة، يجد الإنسان السلام في الحقيقة فقط. لا يمكن للتكنولوجيا أن تمنح الإنسان الراحة لأنها تسهل الحياة للجسد فقط. ولكن الإنسان ليس مجرد جسد: إنه جسد وروح. لهذا ينبغي أن نجد طريقة لإراحة كل من الجسد والروح.

هناك مفارقة في الكنيسة: حين يتعب الجسد محبةً بالمسيح أو محبةً بالقرب، الفقير والمريض ومن هم في حاجة للمساعدة، عندها وبالرغم من التعب الجسدي يحلّ سلامٌ عجيب في الروح. إنسانٌ كهذا يجد راحة في نفسه، ثم تنتقل هذه الراحة من النفس إلى الجسد معطيةً إياه قوةً جديدة للعمل. كان هذا الإحساس مألوفاً عند القديسين بشكل رائع: سلام وراحة ونعمة وفرح عظيم. ولكن، لتحقيق السلام الروحي عليكم أن تعملوا. يتطلب الأمر جهداً لئيل النعمة الإلهية. يجب أن نحب العمل من أجل الله ومنفعة الآخرين.

يجب أن نخصص بعض الوقت لنكون في صمت. بالطبع لا يمكننا أن نكون في الصحراء لأربع وعشرين ساعة في اليوم كالقديس أنطونيوس الكبير، ولكن من الجيد أن نكون صامتين لبضع دقائق على الأقل، وخاصة في الليل. لا تقضوا الليل بأكمله على الهاتف أو نائمين. خصصوا جزءاً من الليل لليقظة، احرموا أنفسكم بعض النوم، وعندها تجدون حيوية الروح ويصبح ذهنكم صافياً. وسنصبح قليلاً مثل القديس أنطونيوس الكبير والقديس يوحنا السابق وموسى النبي وإيليا النبي. وسيساعدنا المسيح نفسه ووالدة الإله الفاتكة القداسة كما ساعدوا هؤلاء القديسين. ما الذي يوحد كل هؤلاء القديسين؟ جميعهم كانت لهم رغبة واحدة مشتركة: نيل القوة الإلهية (Divine Energy) أي نعمة الروح القدس. إن الصمت المقدس والعزلة والصلاة والصوم لم تكن هي الغاية بحد ذاتها بالنسبة لهؤلاء (أي القديسين) وإنما وسائل للوصول إلى الغاية. لم يكونوا متعلقين بهذا كله. ينطبق الأمر نفسه على قراءة المزامير، إذ ليست هي الغاية ولكنها وسيلة. وما هو هدفنا النهائي؟ هدفنا هو اكتساب نقاوة القلب: قلباً نقياً خلق في يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي (مزمو ١٢:٥٠)

فليهبنا الله هذا الهدف الصالح والنبيل. ولتحقيق أهداف عظيمة كهذه نحتاج لقدوة عظيمة. احرصوا رجاءً على قراءة سير القديسين إذا أردتم أن تعيشوا حياةً روحية، لكي تولد في قلوبكم الرغبة بالصمت المقدس والعزلة والصلاة والقداسة، وإلا فإننا سنصل إلى سرّ الشيخوخة وارثين لا القداسة بل الفساد.

إني أناشد العائشين في المدن: هل تريدون أن تكونوا معاصرين وتثبعوا الموضة؟ غادروا المدينة. جدوا قريةً هادئة حيث تنالون قسطاً من الراحة من صخب وضجيج المدينة. ولكن لا تأخذوا معكم هياج المدينة إلى الريف وإلا سيتعكّر هدوءه. كوّننا في الطبيعة خارج المدينة يُمكننا التمتع بالسلام والهدوء وخاصةً في الليل. حين آتي إلى إفريخو (Evrychou)*، أتمكن من انتهاز بضع ساعاتٍ من الهدوء كل يوم رغم مهامي الأسقفية.

استخدموا هذه الساعات من الهدوء بشكل ملائم لدراسة الأسفار المقدسة والصلاة والتواصل مع الثالوث الأقدس ووالدة الإله والقديسين، واتخذوا مثلاً يُحتذى في شخص القديسين. غالباً ما أستذكر القديس يعقوب من إيفيا. قليلٌ من الناس يعرفون أيّاً من القديسين قد اتّخذ (القديس يعقوب) مثلاً له في كل شيء. يظنون أنه كان القديس داوود من إيفيا. في الواقع لا. قد قلّد القديس دانييل العمودي. ذات سنة في الفصح أكل قليلاً جداً حتى أنني أبديت ملاحظة حول ذلك، فأجاب: "ما رأيك؟ ماذا أكل القديس دانييل حين كان على عموده؟" بالطبع لم يكن (القديس يعقوب) عمودياً، ولكنه أراد حقاً أن يكون كذلك. والآن، من أجل توقه ومماثلته لهذا القديس، مجدّه الله بين القديسين نظير القديس دانييل.

لهذا أكرر: اتخذوا لكم قدواتٍ عظيمةً وخصصوا وقتاً للصمت. للصمت صوتُه الخاص وهو يحفّز العمل الروحي. اقرؤوا سفر المزامير، إذ تجدون فيه مصدراً للفرح ومصدراً للدموع التي تنقي قلوبكم. أتت امرأة مؤخراً لرؤيتي، وكانت تحب المزامير كثيراً وتقرؤها كل يوم. ماذا قالت لي؟ قالت: "لم أفهم كثيراً في البداية. كان هناك الكثير من الكلمات التي لم أكن أعرفها. ولكنني حين كنت أنهي القراءة أشعرُ بفرح أكبر مما عرفته من قبل. من أين يأتي هذا الفرح في قلبي؟" أجبت: "هذا الفرح من استنارة الروح القدس".

أيّاً يكن نمط الحياة التي تعيشونها، رهبانيةً كانت أو عائلية، اتخذوا أمثلة عظيمة لتقلدوها ولأسوف تستفيدون بالتأكيد، وسيكون لديكم ما تورثونه لأبنائكم وأحفادكم.

Source: <https://orthochristian.com/140197.html>

† مقتطف من عظة سيادة الميتروبوليت نيوفيتوس مطران مورفو في كنيسة القديس أنطونيوس الكبير في قرية سبيليا، قبرص، في ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٠.

* إفريوخو: قرية في قبرص ومركز زراعي، فيها المركز المؤقت لأبرشية مورفو الواقعة تحت الاحتلال التركي. أيقونة الصمت المبارك وهي واحدة من الأيقونات التي فيها يظهر السيد بمظهر ملاك يدعو إل الصمت كطريق للخلاص. هذه الأيقونة منتشرة في التراث السلافي، لكنها غالباً غير معروفة بين اليونان والأنطاكيين.

